وهذا طليعة ذلك الحب . وهذا سرّ ما نقله الكليني عن رسول الله ﷺ من قوله : « أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها وأحبّها بقلبه . . » . لأنّ الإنسان عندما يصل إلى هذا الحدّ ويفهم أنّ العشق الكاذب يتحول إلى هم وغم عند زوال المعشوق . فإذا زال المعشوق فإنّ الآخرين لا يحسّون بذلك الحزن والشقاء بل المحبّ هو الذي يكتوي بنار الفراق . والمحبة التي كانت بالأمس سبباً للسرور أصبحت اليوم سبباً للآلام .

إذن إذا كان المحبوب زائلاً فسيكون سبباً لجلب الحزن وأفضل الناس من عشق « الحي الذي لا يموت » وعندما يكون المحبوب أبدياً فيجب أن يطوي المحب المسافة إلى أسمى درجات الحب وهو العشق . والعشق يحيي آثار المعشوق في العاشق . وهناك نوع من النبات ينمو إلى جانب الشجرة ويلتف على ساقها يقولون إن هذه الشجرة قد عشقت : يلتف على الشجرة ويغلق عليها طرق التنفس ، ويجعل أوراقها صفراء ، ويجعل خريفها يصل سريعاً فيمنع مِنْ نضوج ثمارها ، ويجعل منظرها أصفراً ولا يدعها تتنفّس « كل من كان أكثر يقظة يكون وجهه أكثر صفرة » وهذا العاشق أصفر الوجه لأن تلك العشقة قد سدت عليه منافذ التنفّس ، وذلك الشوق والهيجان لا يدعها تواصل نموّها ولا يدعها تأخذ حجمها المناسب . مع أنها من جهة نموّها بنفسها أكثر من هذا الحجم التي هي عليه . يقول : « أفضل الناس من عانق العبادة وباشرها بجسده » وهذه النيّة التي نصطحبها أثناء الصلاة هي نية بالحمل الأولي ولكن باصطلاح أهل المعنى هي غفلة بالحمل الشائع . ومَنْ يقول : أصلّي هذه الركعات الأربعة قربة إلى الله تعالى ، فهذا المعنى الذي يخطر في الذهن هو نيّة بالحمل الأولي ولكنّه غفلة بالحمل الشائع . والنيّة هو ذلك الانبعاث والطيران والميل والتخلّي عن العالم الطبيعي . وهذا هو ما يقوله العظماء وبعض العرفاء : إنّي أنفعل عندما